

اللاجئون السياسيون الروس في مصر في مطلع القرن العشرين

تشكلت الجالية الروسية في مصر في نهاية القرن التاسع عشر. في عام ١٨٨١ بلغ تعداد الرعايا الروس في مصر ما يقرب من ١٠٠ شخص^{٦٦٤}، أما في عام ١٨٩٧ وفقاً للإحصائيات المصرية، فقد تجاوزت أعدادهم ثلاثة آلاف شخص^{٦٦٥}. ومن الجدير بالذكر أن التركيبة العرقية لهذه الجالية كانت تتكون من أغلبية يهودية^{٦٦٦}، وكان الكثير منهم معاد للنظام القيصري في روسيا. وقد قام الثوار الروس باستغلال تواجد هذه الجالية الروسية في مصر في أوائل القرن العشرين؛ لإرسال ونقل المطبوعات الماركسية والصحف من أوروبا إلى روسيا.

أشار مارسيل إسرائيل أحد أبرز المناضلين في الحركة الشيوعية المصرية، إلى أنه: «في بداية القرن العشرين توجه عدد من اليهود الروس الفارين من استبداد القيصر إلى مصر، وكان من بينهم مجموعة من البلاشفة». وعندما كان «لينين» يعيش في منفاه في «فرنسا وسويسرا» وجد أن بإمكانه الاستعانة ببعض الأصدقاء المتواجدين في مصر من أجل إرسال المراسلات من خلالها إلى روسيا^{٦٦٧}. وكان ذلك من أجل خداع السلطات القيصريّة.

- ٦٦٤ عن مقالة : «Русские политэмигранты в Египте в начале XX века» ، التي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقي» ، إصدار معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية للمستشرق الروسي Vladimir Belyakov «مصر بعيون الروس» منتصف القرن التاسع عشر- أوائل القرن العشرين . مجموعة وثائق . موسكو ، ١٩٩٢ ، ص ١٢٥-١٢٦ .
- ٦٦٥ «جينادى جورياتشكين» ، «جرينسنيكو» ، «ديميتري فومين» . الهجرة الروسية في مصر وتونس (١٩٢٠-١٩٣٩) . موسكو ٢٠٠٠ ، ص ٦ .
- ٦٦٦ لمزيد من التفاصيل أنظر : «فلاديمير بيلياكوف» «على شاطئ النيل المقدس» الروس في مصر . موسكو ، ٢٠٠٣ ، ص ١٠٠-١٠٤ .
- ٦٦٧ «رفعت السعيد» تاريخ الحركة الشيوعية المصرية « الجزء الأول ١٩٠٠-١٩٤٠ . القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٦٩٨ . تقرير موسكو . نشرت إسرائيل كملحق لهذه الدراسة .

تؤكد المواد الأرشيفية أنه كان يوجد عدد من الثوار بين المهاجرين السياسيين المتواجدين داخل مصر. ونورد هنا تقريرين أرسلهما دبلوماسيون روس من «القاهرة»، إلى «سانت بطرسبورج»، حول مغادرة القاهرة بعض «الأشخاص المشتبه فيهم» إلى روسيا بعد بداية الثورة الروسية الأولى. وجاء في التقرير المؤرخ في السادس من شهر فبراير ١٩٠٥ أن كل من الأرميني «كوتشير ماجيانتس» الذي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، والبولندي «بيليانسكي»، الذي يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً كانا قد ذهبا في الرابع من فبراير على متن البارجة الروسية «القيصر» عبر «القسطنطينة» أو «أوديسا» إلى «باتوم»... حيث تم إرسالهما إلى هناك على ما يبدو، من قبل اللجنة الأرمينية لتنفيذ بعض العمليات الإرهابية التي تستهدف السكك الحديدية والمدنيين، بينما سافر شريكهم «بارتوبالتيان» في الرابع والعشرين من يناير من «بورسعيد» إلى «جينيف» لاستلام وتسليم القنابل إلى روسيا عبر «كاراكوف»^{٦٦٨}.

في الثاني والعشرين من فبراير تم إرسال البرقية التالية من «القاهرة» إلى العاصمة الروسية: «غادر الجمعة الماضية على متن إحدى السفن الروسية من «الإسكندرية» والمتوجهة إلى «أوديسا» ثلاثة أشخاص مشبوهين وهم: «ناريس فيليكس فرانسوسكيفيتش» ويحمل جواز سفر مصري، و «كازيمير أنطونوفيتش مارينسكي»، ويحمل جواز سفر تركي، بالإضافة إلى شاب آخر مجهول ولديه جواز سفر نمساوي ويدعى «فالوديا»^{٦٦٩}، وذلك بهدف الدعاية الثورية.

إذا صححت المعلومات التي وردت عن طريق عملائنا عن الغرض من مغادرة الثلاثة الأوائل من اللاجئين السياسيين، فهذا يعنى أنهم بالطبع ليسوا من البلاشفة، أما فيما يخص المجموعة الثانية فإن إنتماءاتهم الحزبية غير معروفة.

لكن من المؤكد، أن هناك مجموعة من الثوار عاشت في مصر في مطلع القرن الماضي، وكانوا إما يعرفون لينين نفسه معرفة شخصية، وإما يعرفون دائرته المقربة من الأصدقاء. يؤكد ذلك إرسال صحيفة «إسكرا» والأدبيات الماركسية إلى روسيا عبر الإسكندرية.

٦٦٨ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٥١، حافظة ٤٨٢، وثيقة ٨٥٤، السطر ١٢.

٦٦٩ نفس المرجع، وثيقة ٨٥٥، السطر ٤.

في بداية أغسطس من عام ١٩٠١، نوه «ف. إي. لينين»، و «م. ك. كروبسكايا» في خطابهما إلى «جالبيرنوفي باكو» عن خطة إرسال «إسكرا» عبر الإسكندرية. غير أن تنفيذ هذه الخطة تأخر لمدة ستة أشهر^{٦٧٠} لأسباب غير معروفة، وكتبت كروبسكايا إلى كرجيجا نوفسكي في الثلاثين من مارس لعام ١٩٠٢ تقول: «إن الطرق عبر مصر سالكة وأن أهالي خيرسون هم من قاموا بتمهيدها»^{٦٧١}.

غير أن «الطريق المصري» لا يصل مواد «إسكرا» إلى روسيا لم تدم غير ستة أشهر، وذلك بسبب يقظة البوليس السري التابع للقيصر بالإسكندرية، ولم تدخل ضمن إطار الطرق الأساسية. وقد وصف الباحثون الوطنيون هذه الطريق بالتفصيل^{٦٧٢}، وذكروا عدد وكم الطرود، التي تم إرسالها ومحتواها الأدبي، ومن أرسلها، ومن تسلمها داخل الموانئ الروسية، ومتى وكيف اكتشفتهم السلطات القيصريّة؛ لذلك لن نتوقف عند هذه القضايا، ولكن كل ما يهمنا هو من مهد هذه الطريق هنا في مصر. ولكن للأسف المعلومات التي بين أيدينا بهذا الشأن ضئيلة للغاية. كل ما نعرفه فقط ينحصر في اسم المواطن الروسي السابق «أوسيب ميخائيلوفيتش يوزيفوفيتش»، صاحب حانة «سيفاستوبول»، حيث توجد النقطة الأولى للمنشورات المحظورة، وكانت حانته تقع بالقرب من الميناء، ويرتادها بصفة خاصة البحارة الروس.

في نهاية نوفمبر ١٩٠٢ تسلم عمدة «أوديسا» وقائد قوات الحرس بالمدينة، خطابين من الإسكندرية بدون توقيع. وقد كتبهما شخص واحد، ويتضمنان نفس المحتوى. وجاء فيهما أن: «حانة» «سيفاستوبول» تعد «وكرالاشتراكيين» و«مقر الرابطة الديمقراطية الإشتراكية»، وأن «يوزيفوفيتش» أقلق روسيا على مدار ٢٢ عاماً بالكتب الثورية، التي كان يرسلها على متن كل سفينة. وأن صاحب الحانته يتردد على السفن الروسية في ميناء الإسكندرية أثناء غياب قادتها ويقوم بنشر المنشورات المحظورة بين بحارتها. واقترح صاحب الرسالتين اعتقال «يوزيفوفيتش» أثناء تواجده

- ٦٧٠ مراسلات «لينين» ورئيس تحرير «إسكرا» مع المنظمة الديمقراطية الروسية «١٩٠٠-١٩٠٣». المجلد الأول. موسكو، ١٩٦٩، ص ١٨٥، ٥٦٨.
- ٦٧١ نفس المرجع، ص ٤٥٨.
- ٦٧٢ أنظر: «جينادى جورباتشكين» «الطريق المصري» مواد إسكرا في روسيا // جامعة موسكو مسلسل ١٣. الاستشراق. ١٩٨٧، رقم ١، ص ٣-١١، «فرانكل» «إسكرا» اللينينية في مصر // محمية الطيور بأفريقيا. موسكو ٢٠٠٠، ص ٢٠-٢٩.

على متن إحدى السفن، وترحيله إلى «روسيا» داخل أحد الصناديق مكبلاً بالقيود ، لكي «لا يضل البحارة عن الطريق القويم»^{٦٧٣}.

وفقاً لهذه الرسائل المجهولة، عاش «يوزيفوفيتش» في مصر فترة طويلة، ومن غير المرجح أنه كان شتراكيا- ديموقراطيا وأنه ينتمى إلى «إسكرا». فعلى الأرجح أن المنظمين الأصليين لطريق إسكرا قد اتفقوا معه على استخدام الحانة لتكون قاعدة لإعادة الشحن، حال علمهم بمدى كراهيته لسلطة القيصر. وبالفعل كتبت كروبسكايا في الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩٠٢ للخيرسونيين أن «يوزيفوفيتش» شخصية شديدة الغموض.^{٦٧٤}

ورجح صاحب الرسالة أنه لم يتم القبض على صاحب الحانة المعروفة باسم «سيفاستوبول»، بفضل حمله لجواز سفر مصري. ولكن هذا لم يحل دون تفتيش الحانة، كما تم منع البحارة الروس من الذهاب إليها، وفي نهاية عام ١٩٠٢، وفقاً لما أعلنه القنصل الروسي بالإسكندرية، أجبر «يوزيفوفيتش» على بيع الحانة للمواطن الإيطالي الاشتراكي بارون»^{٦٧٥}.

قام الكاتب في عام ١٩٨٧ بمحاولة اكتشاف مكان حانة «سيفاستوبول» بمساعدة المؤرخين المصريين في مدينة الإسكندرية. وقد توصلنا إلى استنتاج مفاده، أنه ربما كانت تقع في المنزل الذي يحمل رقم ٢٨ في شارع الكنيسة القبطية^{٦٧٦}.

الإخفاق الذي تعرض له «الطريق المصري» «إسكرا»؛ في منتصف ١٩٠٢ لم يدفع الثوار الروس للتخلي عن فكرة استخدام الإسكندرية قاعدة أساسية؛ لإعادة الشحن ونقل المنشورات المحظورة إلى روسيا، وهذا يؤكد أن يوزيفوفيتش، الذي تخلى عن حانته، لم يكن المنظم الأساسي «للطريق المصري». بل كان هناك شخص آخر يقوم بهذا الدور. وأن الاشتراكيين الديموقراطيين كان لهم في مصر شركاء في الرأي من أهل الثقة.

- ٦٧٣ «جينادى جورباتشكين» «الطريق المصري» مواد إسكرا في روسيا ص ١٠ .
 ٦٧٤ مراسلة «لينين» إفتتاحية جريدة «إسكرا». المجلد الثاني. موسكو، ١٩٦٩، ص ٣٣٥ .
 ٦٧٥ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. ملف ١٥١، حافظة ٤٨٢، وثيقة ٢٤٠٧، السطر ١٥ .
 ٦٧٦ «فلاديمير بيلياكوف»، محمية أفريقيا للطيور، ص ٢٥- ٣٩ .

في ديسمبر من العام نفسه اقترح «سميدوفيتش» طريقة أخرى لتسليم المنشورات عبر الإسكندرية. وحول هذا الأمر تحدث «م. فرانكل» «واقترح إشراك ألكسندر فارتانيان وعمه وهما من ساكني الإسكندرية في هذا الأمر، عن طريق أحد معارفهم ويدعى كوزيرينكا»^{٦٧٧}، إلا أن هذا الاقتراح لم ينفذ، مثله مثل محاولة الاشتراكيين الديموقراطيين في أوديسا «ترتيب عملية النقل» عبر الإسكندرية عام ١٩٠٣^{٦٧٨}، والتي على الأرجح قد تم إحباطها من قبل أنشطة الشرطة السرية للقيصر.

في بداية القرن العشرين، كان يعيش في مصر حوالي ربع مليون أوروبي. وكان دورهم في حياة البلاد أكبر من حصتهم في التعداد السكاني للبلاد، فقد كان الأوروبيون في الغالب يعملون مهندسين وفنيين، وعمال مهرة داخل الشركات والمؤسسات، أي أنهم الجزء العامل من السكان، الذي تتوفر فيه المتطلبات اللازمة لتحقيق التنمية الاقتصادية للبلاد، والتي لم تكن تتوفر لدى المصريين أنفسهم.، وغالباً ما كان يعيش الأوروبيون في مدينة الإسكندرية، التي كانت تعتبر نافذة مصر على أوروبا.

قال بوزانوف عن مدينة الإسكندرية التي زارها عام ١٩١٠: «لقد أحدثت الإسكندرية انطباعاً لدينا أعظم بكثير مما تركت إسطنبول، فالمدينة تم تخطيطها بشكل سليم، وكانت عبارة عن خطوط متساوية. وكانت منازلها تحمل الطابع الأوروبي، وتجدها قد ازدانت بالتماثيل والنوافير وخططت بها الميادين، كما أنك تجد سكانها وقد غطت رؤوسهم القبعات المصنوعة من القش وخوذ الجنود والقبعات الإستوائية التي تغلبت على الطرابيش والعمائم، وهذا يوضح لنا أن الإسكندرية المعاصرة مثلها مثل الإسكندرية الإغريقية، لا تحمل الطابع المصري، ولكنها مدينة يونانية في المقام الأول، أو بالأحرى «مدينة نموذجية من بلاد الشام»، وكان يقطنها حوالي ٣٥٠٠٠٠ نسمة نصفهم من الأجانب من مختلف الجنسيات... (من إيطاليا واليونان وفرنسا^{٦٧٩}).

كان الأوروبيون المقيمين على الأراضي المصرية يتمتعون بخبرة كبيرة في المشاركة في الحركة العمالية في بلادهم، ولم تكن الأفكار الاشتراكية غريبة عليهم، حتى أنه في مصر كانت توجد هيئات للحزب الاشتراكي الإيطالي، والحزب

٦٧٧ «فرنك». موسكو. مرجع سابق ص ٩.

٦٧٨ نفس المرجع.

٦٧٩ «بوزانوف» بين النيل والبحر الأحمر. موسكو ١٩٥٦، ص ٦٩.

الاشتراكي اليوناني . وقد أشار المؤرخ المصري عبد الوهاب بكر أن : «الأجانب كانوا بالنسبة للعمال المصريين بمثابة المعلم ، خاصة فيما يتعلق بالأيديولوجية والحركة العمالية»^{٦٨٠} وأوضح أن الأجانب تحديداً ، كانوا أول من بادروا بإنشاء نقابات عمالية مختلطة بمشاركة المصريين .

وقد ساهم بعض أفراد الجالية الروسية ، بدور ملحوظ في الحياة النقابية المصرية ، وقد كتب المؤرخ المصري « رفعت السعيد » إن أول اتحاد تم تأسيسه عام ١٨٩٩ كان يخص عمال شركات التبغ ، وأسسها أحد أبناء روسيا ويدعى يوسف روزنتال . وأصبح يوسف روزنتال ومن بعده ابنته شارلوت ، اللذان أصبحا مواطنين مصريين ، أبرز أعضاء الحركة العمالية المصرية ، والدعاه للأفكار الاشتراكية^{٦٨١} . وفي عام ١٩٢٠ تم تأسيس الحزب الإشتراكي المصري في مدينة « الإسكندرية » برئاسة روزنتال ، وقد تحول بعد ثلاث سنوات من إنشائه إلى الحزب الشيوعي . كما تولى روزنتال منصب الأمين العام لاتحاد العمال في مصر^{٦٨٢} ، وفي عام ١٩٢٢ قام الحزب الإشتراكي بإرسال شارلوت روزنتال^{٦٨٣} إلى موسكو ؛ للدراسة في الجامعة الشيوعية لعمال الشرق .

كما شارك اللاجئون الروس في أنشطة الجماعات الماركسية ، التي تم تنظيمها من قبل الأجانب المقيمين في مصر ، وقد أفادت الشرطة المصرية أنه من بين أعضاء جماعة «ياسنوست» ، و «كارلتى» ، كان هناك ثلاثة أو أربعة مهاجرين من روسيا ، وكان لقب أحدهم « كوسوفوسكي » . وسميت الجماعة باسم المجلة التي كانت تصدر في باريس واشترك في تحريرها كل من أناتولي فرانس ، وهنري باربوس ، وروملن رولان باريس^{٦٨٤} .

- ٦٨٠ « عبد الوهاب بكر » أضواء على النشاط الشيوعي في مصر « ١٩٢١ - ١٩٥٠ » القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٧ .
- ٦٨١ « رفعت السعيد » « تاريخ الحركة الإشتراكية في مصر » « ١٩٠٠ - ١٩٢٥ » . الإصدار الخاص القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٧٤ .
- ٦٨٢ « كوساتش » . الرابطة الحمراء فوق الشرق الاوسط ؟ « الحزب الشيوعي المصري ، فلسطين ، سوريا ، لبنان في العشرينيات والثلاثينيات » ، موسكو ، ٢٠٠١ ، ص ٥ .
- ٦٨٣ « كوساتش » الشيوعية في مصر في وقت مبكر : محاولة لإرساء مجموعة أو «حزب» // الشرق ، رقم ٥ ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٥ ، لم تستطع « شارلوت روزنتال » العودة إلى مصر بعد إنهاء فترة الدراسة في موسكو عام ١٩٢٤ ، حيث تم وأد الحزب الشيوعي في مهده ، وظلت في الاتحاد السوفيتي .
- ٦٨٤ « رفعت السعيد » تاريخ الحركة الإشتراكية ، ص ١٧٩ .

وكان نمو الحركة العمالية وانتشار أفكار الإشتراكية اللتان تأثر بهما بعض المثقفين المصريين، ممن نالوا قسطاً من التعليم في أوروبا يسيران وأيديهما في يد الحركة الوطنية. في بداية القرن العشرين ترأس الحركة الوطنية الزعيم البارز «مصطفى كامل» (١٨٧٤-١٩٠٨) الذي كتب عنه السفير الروسي في القاهرة «سميرنوف»^{٦٨٥} عام ١٩٠٠ : « مصطفى كامل، هذا الخطيب المفوه والكاتب البارز والعدو اللدود للاحتلال البريطاني في وادي النيل استطاع أن يصنع لنفسه مكانة رفيعة ويكسب النفوذ داخل أوساط المسلمين المحليين». استطاع أن يؤسس صحيفة « اللواء» التي دعى فيها إلى التحرر الوطني .

الشعور بعدم الرضا بدأ يتصاعد خفية تجاه الاستعمار البريطاني الذي كان يستغل الموارد المصرية بلا رحمة. وفي الفترة فيما بين عامي ١٩٠٦ إلى ١٩٠٨ أدى إلى مظاهرات حاشدة ضد الاستعمار البريطاني خاصة بعد «حادثة دنشواي»، وهي الحادثة التي جسدت الظلم الجائر للاستعمار البريطاني واستخدمهم للعنف ضد مجموعة من المزارعين في الدلتا في يونيو عام ١٩٦٠ .

ظهور الحركة الوطنية في مصر تزامن مع انحسار الموجة الأولى من الثورة الروسية وخوفاً من ملاحقات السلطات القيصريّة، قام عدد من النشطاء المشاركين في الأحداث الثورية بالانتقال من الجنوب الروسي إلى مصر .

«وقد وصف أ. ف. زيفاجو لقاءه بأحد مواطنيه في الإسكندرية في يناير ١٩١٠^{٦٨٦} : في أحد شوارع الإسكندرية توجه إلينا شاب صغير ذو شعر أشقر ومستدير الوجه ويرتدي ثياباً رثة وقال بلغته روسية لاتشوبها شائبة : «هلا ساعدتم بحاراً بانساً من رجال الثائر «بندلايمون». سارع المرشد بالتوضيح قائلاً : « إنه روسي - وهم هنا كثيرون ويجلسون حتى ساعات متأخرة من الليل في أحد مقاهي الميناء الذي يحظى بسمعة سيئة للغاية» .

كان من أبرز الفارين إلى مصر أحد المشاركين بنشاط في الثورة ويدعى ماخار (ميشكا) بوتسيوف، وكان عضواً في لجنة الإضراب أثناء إضراب البحارة في مدينة «أوديسا» في صيف عام ١٩٠٦. وقد تم إعتقاله مع مجموعة من زملائه النشطاء في بداية

٦٨٥ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية . ملف ٥١ ، حافظة ٤٨٢ ، السطر ١٩٢ .

٦٨٦ «زيفاجو»، طبيب، عالم مصريات، أحد هواة جمع المقتنيات، موسكو، ص ١٤٤ .

الإضراب، الذي أعتبر إضراباً ناجحاً، حيث اعترف ملاك السفن بالنقابة التي كونها البحارة تحت اسم «ريجستراتسيا» (التسجيل)، وقد تم إطلاق سراح جميع النشطاء عدا بوتسيوف، الذي وفقاً لما صرح به رجال الدرك: «أنه لم يتم إعتقاله لانتمائه إلى لجنة الإضراب، ولكن قبض عليه لأسباب تتعلق بانتمائه الحزبية».

وصف أداموفيتش الذي قاد الإضراب آنذاك بوتسيوف في مذكراته أنه: «أرميني عجز متحمس لديه علاقات واسعة مع الاشتراكيين الثوريين. ومن الواضح أنه كان يحظى بتأثير كبير على البحارة كما أشار أداموفيتش، حيث أثرت مسألة استمرار الإضراب حتى يتم إطلاق سراح بوتسيوف^{٦٨٧}، ولكن قوة المشاركين في الإضراب قد استنفدت، وقرروا فيما بينهم: «أنه سيأتي الوقت الذي سنثار فيه لبوتسيوف»، ولكن سرعان ما تمكن بوتسيوف من الهرب من السجن وتم نقله إلى الإسكندرية.

على ما يبدو فإن بوتسيوف استمر في التحريض الثوري بين البحارة الروس داخل الأراضي المصرية، فقد كان شخصية معروفة لدى الكثيرين منهم، على أنه أحد قادة الإضرابات الأخيرة التي وقعت في أوديسا.

أبلغ السفير الروسي سميرنوف^{٦٨٨} في ١٦ يناير عام ١٩٠٧ سانت بطرسبورج أنه: «منذ فترة من الوقت تقوم القنصلية الروسية في الإسكندرية برصد حالات انتهاك للنظام بشكل متكرر، من جانب بحارة سفن الشركة الروسية للملاحة والتجارة، وطبقاً لملاحظات القادة، فإن البحارة الروس يقعون بمجرد وصولهم إلى ميناء الإسكندرية تحديداً في نطاق «المؤثرات الضارة»

أثارت أنشطة بوتسيوف، الذي حكم عليه في وطنه، بالنفي إلى «أرخانجيلسك» قلق السلطات القيصريّة. ولكن كان يلزم للقبض عليه سبب وجيه. وبناءً على نصيحة مأمور قسم الإسكندرية «هداية بيه»، فقد تم إحقاق المواطن الروسي السابق ديفيد ماركوفيتش بجماعة بوتسيوف. وقد كان معروفاً في وقت ما بأرائه الأنركية، وظل يحتفظ بعلاقات وثيقة مع من يشاركونه هذه الآراء. وكان «ديفيد ماركوفيتش»

٦٨٧ «أداموفيتش» الإضراب الصيفي ١٩٠٦ // مواد عن تاريخ الحركة النقابية في روسيا. المجلد الرابع. موسكو، ١٢٥، ص ٢٦٢-٢٦٥.

٦٨٨ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٥١،حافظة ٤٨٢، وثيقة ٨٥٩، السطر ٨.

مثله مثل بوتسيوف ورفاقه ، كان يذهب إلى ملاقاتة السفن الروسية في الميناء ، ويعرب عن سخطه من إستبداد القيصر وطغيانه ، وبهذه الطريقة قد نال ثقة الثوار . وفي السادس من يناير ١٩٠٧ إجتماع اثنا عشر لاجئاً داخل شقة ماركوفيتش بزعامة بوتسيوف . وكان من بين المقترحات التي تم وضعها لخطة العمل : تفجير إحدى السفن الروسية . وجاء رأي الأغلبية ومن بينهم بوتسيوف مؤيداً لهذا الاقتراح كما أنه تم تضمينه في محضر الجلسة^{٦٨٩}.

وقد كتب «أ . أباطة» القنصل الروسي في الإسكندرية للسفير الروسي «أ.أ. سميرنوف» : إن ماركوفيتش لم «يفعل» شيئاً على الرغم من أنه ، لا بد أن يقوم بدور العميل المحرض“ وقد أعرب عن شكه حيال جدية وتصميم بوتسيوف تفجير السفينة !

وأشار أباطة^{٦٩٠} في رسالته إلى : «أن ثمة شيئاً مريباً يحاك في الإسكندرية ولكن هل حقاً سيتم تفجير السفينة «الملكتة أولجا» في رحلتها القادمة تحديداً - هذا سؤال آخر، والذي من وجهة نظري يجب أن تكون الإجابة عليه بالنفي^{٦٩١}!...» على الرغم من ذلك وإستناداً إلى التقرير الذي قدمه ماركوفيتش طلبت القنصلية من السلطات المصرية إلقاء القبض على بوتسوف وعضوين آخرين من جماعته وهما : بولف بلوتنيك وبيكو بونتمانا . وفي الثالث عشر من يناير تم إلقاء القبض عليهم أثناء لقاءهما مع «ماركوفيتش» .

أشار السفير «سميرنوف» وهو يبلغ سانت بطرسبورج عن أمر الاعتقال^{٦٩٢} إلى أن : «بوتسيوف يتمتع بموهبة فذة ويتميز بالحيوية» . أما فيما يخص «بلوتنيك» و «بونتمانا» ، فقد كانا من الحرفين أنصاف المتعلمين ، وكانا يقومان بتجليد الكتب ولصقتها^{٦٩٣} ، ولا يعرف تحديد امتى هاجرا إلى مصر .

٦٨٩	نفس المرجع ، ملف ١٤٩ ، ٢٦ . ٥ ، وثيقة ٩٢ . السطر ٥٧ - ٨٠ .
٦٩٠	نفس المرجع ، السطر ٨٨ .
٦٩١	نفس المرجع ، السطر ٨٦ .
٦٩٢	نفس المرجع ، وثيقة ٥٢ .
٦٩٣	نفس المرجع ، ملف ١٥١ ، حافظة ٤٨٢ ، وثيقة ٨٥٩ ، السطر ٥ .

أحدث أمر اعتقال ثلاثة من المهاجرين الروس أحداث عاصفة، داخل الأوساط المصرية وكانت صحيفة «لاريفورم» التي تصدر في الإسكندرية أول من نشر عن هذا الأمر. ووفقاً لما جاء على صفحات الجريدة إن المقبوض عليهم لاجئون سياسيون تلاحقهم السلطات الروسية؛ لأسباب تتعلق بمعتقداتهم. وحثت الجريدة الطبقة المثقفة بالوقوف بجانب المعتقلين والدفاع عنهم وانتزاعهم من بين أيدي السلطات القيصريّة، وبالفعل تمّ تلبية النداء وأصبحت بورصة الإسكندرية نقطة انطلاق حركة التضامن معهم. ومن هناك توجه حشد كبير إلى القنصلية البريطانية. وكان أغلبهم من الأوربيين وطلبوا اللورد «كرومر» بوصفه الحاكم الفعلي للبلاد^{٦٩٤} بالتدخل للإفراج عن المعتقلين.

ازدادت حدة التوتر. وأبلغ الدبلوماسيون الروس سانت بطرسبورج أنه: «في يوم الأحد السابع من يناير (بالتقويم القديم. بيلياكوف) تصاعدت الإثارة أكثر وأكثر، واتشعت المدينة بطابع ينذر بالخطر» ظهيرة ذلك اليوم بدأت الحشود الغاضبة بالهجوم على باخرة الشركة الروسية، القابعة داخل ميناء الإسكندرية، وحطموا أبوابها وفتشوها في محاولة للبحث عن المجرمين، ثم توجهت هذه الحشود إلى القنصلية في محاولة لاقتحامها، وانتزعت الدرع الذي عليه شعار الدولة المعلق عند المدخل وسحقته»^{٦٩٥}.

في صبيحة اليوم التالي إندلعت الاشتباكات في القاهرة. وقد جاء في التقرير أيضاً إنه «في يوم الإثنين الموافق الثامن من يناير تجمعت مظاهرة حاشدة أقيمت فيها الخطب الحماسية، حول الموضوع الراسخ غير المتغير الخاص بالحرية، وحب الإنسانية والتضامن للدفاع عن المضطهدين. وفي التاسع من يناير نظم عمال تنضيد (ترتيب) حروف الطباعة الإيطاليين المعروفين هنا بمعتقداتهم الأناركية مظاهرة حاشدة، وانضم إليهم اليهود وبعض العناصر المتطرفة الأخرى. ومع حلول ظهيرة ذلك اليوم، كانت الحشود الضخمة، التي ملأت الشارع أمام الوكالة الدبلوماسية الإمبراطورية قد نظمت مظاهرة معادية لنا، وقامت هذه الحشود بترديد التهديدات العدائية، والصفير الحاد والهتافات، ورفع الشعارات المعادية لروسيا، ثم غادرت الحشود الوكالة متوجهة إلى نائب القنصلية، وقد تكررت أمامة نفس المظاهرة»^{٦٩٦}

٦٩٤ نفس المرجع، السطر ١٠.

٦٩٥ نفس المرجع.

٦٩٦ نفس المرجع، السطر ١٦-١٧.

ونشرت صحيفة الأهرام في عددها الصادر في الرابع والعشرين من يناير نص المنشورات التي تم توزيعها في أنحاء القاهرة، والتي جاء فيها: «أيها الرفاق! هذه المظاهرة السلمية التي شاركنا فيها نظمت، لكي تطالب باحترام حق اللجوء السياسي، لكن فيما يخص المعتقلين السكندريين، لم تحقق هذه التظاهرة النتيجة المرجوة، ولذلك، فإنه من واجبنا تجاه ضحايا الإستبداد اتخاذ التدابير الصارمة؛ لأجل انتصار القيم الإنسانية والحرية، فعلى كل فرد أن يكون على أتم الاستعداد للتحرك والرد بالقوة إذا لزم الأمر، وليحيا الشعب الروسي العظيم، ولتسقط حكومة القيصر^{٦٩٧}، وبالنظر إلى المنشور والأسلوب الذي صيغت به الجمل، نلاحظ أنه على الأرجح قد كتب بواسطة أحد المهاجرين الروس».

استمرت موجة الاضطرابات في الإسكندرية والقاهرة. وكان الشيء الذي يمكن أن يخمدتها هو ترحيل المعتقلين إلى خارج البلاد، إلا أن الدبلوماسيين التابعين لسلطة القيصر كانوا يخشون عدم استطاعتهم نقل السجناء على متن السفينة الروسية القابضة داخل الميناء لأن؛ المتظاهرين قد حاصروا الميناء بالفعل. لذلك تم نقل بوتسيوف ورفاقه من السجناء سراً إلى ميناء بورسعيد في الفترة من الثالث عشر إلى السادس والعشرين من يناير وتم وضعهم على ظهر السفينة «كورينلوف» وأرسلوهم إلى روسيا تحت الحراسة المشددة والمكونة من ١٠ حراس^{٦٩٨}.

دامت موجة الاضطرابات ما يقرب من أسبوعين، وكانت هذه الفترة بالنسبة للدبلوماسيين الروس عبارة عن اختبار صعب، والذين كانوا على ما يبدو ينفذون بشرف مهمة ذات طابع وطني.

تم منح وسام «القديسة أنا» الروسي لثلاثة من البريطانيين لمساهمتهم في القبض على بويتسوف وهم: قائد شرطة الإسكندرية الجنرال هنري هيكسنسون، ومفتش البوليس السرى الرائد جورون إيجرام، والعقيد ألكسندر بول مأمور سجن «الحضرة»^{٦٩٩}، حيث تم التحفظ فيه على المعتقلين».

٦٩٧	الأهرام، ١-٢٤، ١٩٠٧.
٦٩٨	أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٥١، حافظة ٤٨٢، وثيقة ٨٦٠، السطر ٦.
٦٩٩	نفس المرجع، ملف ١٤٩، ٢٠٢٦، وثيقة ٥٠٢٦، وثيقة ٧٥٦١، السطر ٢.

من خلال متابعتنا للمظاهرات المؤيدة للمعتقلين، نلاحظ أن أغلب المشاركين بها من الأوروبيين بالمقام الأول، وهو ما يعد أمراً عادياً، لأن أي مواطن أوروبي لاترضى حكومته عن نشاطه السياسي يمكن أن يكون رهن الاعتقال بمجرد أن تتقدم القنصلية التابع لها بطلب إلى السلطات المصرية، ويتم ترحيله إلى بلاده فوراً. كان لأحداث ١٩٠٧ صدى كبيراً لدى المصريين فقد ساهمت بقدر كبير في التنوير السياسي. وكتبت جريدة «اللواء» التي أنشأها «مصطفى كامل» تعليقاً على الأحداث وهي تحت المصريين على المشاركة فيها: «أنه يجب على المسلمين (اقرأ: المصريين ف. بيلياكوف) أن يشاركوا أيضاً في هذه المظاهرات كي يعرفوا، في نهاية المطاف المعنى الحقيقي للحرية»^{٧٠٠}

بعد مرور ست سنوات منذ اعتقال بوتسيوف تلقى المصريون درساً آخر من دروس الحرية والفضل في ذلك كان يرجع إلى اللاجئين السياسيين الروس.

في نهاية ١٩١٠ عاد إلى أوديسا المشاركون في الثورة الروسية الأولى من المنفي. وحاولوا إنشاء اتحاد البحارة التجاريين في البحر الأسود كما حاولوا إصدار جريدة تتحدث باسمهم ولكنها غير قانونية باسم «تشيورنوموريتس». غير أنهم تمكنوا من إصدار عدد واحد فقط من هذه الجريدة وفي ربيع ١٩١١ تم تنظيم إضراب ما يعرف ببحارة البحر الأسود، والذي لم يكتب له النجاح وانتهى بالهزيمة. ومن هنا إنبثقت فكرة جديدة وهي نقل قيادة الاتحاد خارج حدود البلاد، وقد تم اختيار مدينة القسطنطينية لتكون مقراً له، حيث اعتادت السفن الروسية الإبحار إلى هناك. وبحلول نهاية ١٩١١ كان قد تم الانتهاء من التشكيل الجديد للجنة الخارجية التابعة لاتحاد بحارة البحر الأسود. وكان أحد قادتها ميخائيل آدموفيتش الاشتراكي الديموقراطي، الذي ترأس أول نقابة للعمال في منطقة البحر الأسود والتي أطلق عليها «ريجستراتسيا» في عام ١٩٠٦، ولكنه عاش في ميونخ بعد فشل الثورة. وفي فبراير ١٩١٢ في القسطنطينية صدر أول عدد من الصحيفة الشهرية «مورياك» (البحار)، ولكن سرعان ما إندلعت حرب البلقان. مما إضطر اللجنة الخارجية وهيئة تحرير الجريدة إلى ترك القسطنطينية والانتقال إلى الإسكندرية^{٧٠١}.

٧٠٠ «اللواء»، ١١-٢-١٩٠٧.

٧٠١ «تحت راية الوطن»، مقالات حول تاريخ مؤسسة البحر الأسود، أوديسا، ملف ١٤٩، حافظة ٥٠٢٦، وثيقة ٥٣٤١، السطر ١٣٨.

كانت العاصمة الشمالية لمصر بمثابة المكان المناسب لإقامة قادة الاتحاد ، وذلك لعدة أسباب أهمها : كانت السفن الروسية خط (أوديسا - الإسكندرية) تصل ميناء الإسكندرية كل أسبوع ، كما كانت السفن التي تحمل العلم الروسي ، وتمر عبر قناة السويس تتوقف في ميناء مدينة بورسعيد التي كانت تبعد مائتان كيلومتر فقط عن الإسكندرية ، وبذلك ضمن قادة الاتحاد استمرار العلاقة التي تربطهم بروسيا والبحر الأسود . ثانياً : كان يعيش في القاهرة والإسكندرية مجموعة كبيرة من المهاجرين السياسيين الذين تركوا روسيا بعد فشل الثورة الروسية الأولى ، ويمكن لهؤلاء القادة من البحر الأسود الاعتماد بشكل كبير على مساعدتهم في الاستقرار في مصر .

كانت أنشطة اللاجئين السياسيين دائماً ما تسبب صداماً في رأس الدبلوماسيين الروس . وقد أبلغ القنصل بالإسكندرية أ. م. بتروف^{٧٢} وزارة الخارجية الروسية في الثاني والعشرين من أغسطس ١٩١٣ : « إن عملية مراقبة المقيمين هنا من الثوريين الروس تعد عملية شبه مستحيلة » ، ونظراً لصعوبة المهمة فقد استعان الدبلوماسيون الروس بمخبرين لاتمام عملية المراقبة ، وفي هذا الإطار في يونيو ١٩١٣ تقدم السفير سميرنوف باقتراح لإدارة الشرطة المصرية بتكليف أحد المخبرين لمراقبة أعمال المهاجرين السياسيين ويدعى يعقوب زولاوي ، وبالفعل تم قبول الاقتراح المقدم من السفير وبدأ يعقوب زولاوي في مزاولته العمل كمخبر براتب ٦٠ جنيهاً سنوياً^{٧٣} .

واصلت السلطات القنصلية الروسية القبض على اللاجئين السياسيين وترحيلهم إلى روسيا ، وفي مطلع عام ١٩١٣ كان من ضمن المرشحين المناضل الثوري بارشوكوف (الشهير بكيريلوف أو كوزولوف والملقب أيضاً بسولوفوف) من الإسكندرية إلى أوديسا ، إلا أنه على الرغم من الحراسة المشددة تمكن من الهرب بمجرد وصول السفينة إلى القسطنطينية والفرار إلى فرنسا^{٧٤} .

في ربيع نفس العام ، تم ترحيل ألكسندر فلاديميروفيتش أودايفسكى ماسلوف إلى «أوديسا» ، وطبقاً لبيانات القنصلية الروسية في القاهرة : «أدين ألكسندر بمحاولة قلب نظام الحكم القائم» وفر من روسيا وعمل في ضاحية حلوان داخل مصحة الدكتور ديفيد ليبوفيتش جلانتر ، وأضاف السفير الروسي بالقاهرة زوييف^{٧٥} أن :

- ٧٠٢ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية ، ملف ١٤٩ ، حافظة ٥٠٢٦ ، وثيقة ٥٣٤١ ، السطر ١٣٨ .
- ٧٠٣ نفس المرجع ، وثيقة ٥٣٤٢ ، السطر ١ ، ٥ ، ١٢ .
- ٧٠٤ نفس المرجع ، وثيقة ٥٣٤١ ، السطر ٣١ .
- ٧٠٥ نفس المرجع ، السطر ٩٤ .

«ألكسندر يعد من العناصر شديدة الخطورة في مناطق القاهرة وحلوان ، حيث يلتف حوله مجموعة من الشباب اليهودي الروسي ، ويقوم بتحريضهم ضد النظام القائم في روسيا» .

اعتبر الدبلوماسيون التابعون لسلطة القيصرة مناطق حلوان والإسكندرية من أخطر بؤر التحريض الثوري داخل مصر ، وأكد على ذلك س . زوييف قائلاً^{٧٠٦} : «في القاهرة ومن داخل إحدى ضواحيها حلوان تتمركز مستعمرة روسية تثير القلق ، حيث يتواجد بها عدد لا بأس به من المهاجرين غير الشرعيين» . واستطرد السفير : «والذين على ما يبدو ينتمون إلى منظمات مختلفة ولكنها كانت ذات طابع سياسي» .

كان سيرجي بتروفيتش يوريتسين أحد اللاجئين السياسيين الذين كانوا يقطنون في حلوان والذي أصدر صحيفة «ابن الوطن» وبعض الصحف الأخرى خلال الثورة الروسية الأولى . وقد تم استدعائه إلى المحكمة على خلفية التوجهات الثورية للإصدارات . ولكن السلطات القنصلية في مصر لم تتركه في حال سبيلته ، طالما أنه كان يدرج تحت «أكثر الشخصيات عداوة للنظام القائم في روسيا» .

في بداية عام ١٩٠٩ تم استدعائه مرتين أمام محكمة سانت بطرسبورج الجزئية . وهو الأمر الذي تجاهله يوريسين لأسباب مجهولة ، واضطر يوريسين إلى تغير المهنة في مصر وقام بتوزيع الزهور في ضاحية حلوان^{٧٠٧} .

كان اللاجئين السياسيون قد اعتادوا التجمع داخل حانة لليرة ، يملكها عامل التلغراف الحربى نيكولاى إبراموفيتش زاليويكين الهارب من الزورق الحربى «كوبانيتس» . وكان من ضمن البحارة الروس الذين إعتادوا إرتياد الحانة بعد وصول السفن إلى ميناء الإسكندرية شخص يطلق عليه «فانيا الساعاتي»^{٧٠٨} .

كان اللاجئين السياسيون على اتصال دائم مع مواطنيهم ، سواء الذين ذهبوا للاستجمام في المنتجع بحلوان أو البحارة المترددين على الموانئ المصرية عبر السفن الروسية ، كما وجدوا أنصاراً لهم بين المصريين . وقد أبلغ القنصل زوييف السفير سميرنوف^{٧٠٩} أن : «فيلبيدس بك» (رئيس شرطة القاهرة - فلاديمير بيلياكوف) أخبره عن علاقة الفوضويين الروس مع الثوريين المصريين» .

- | | |
|-----|--|
| ٧٠٦ | نفس المرجع . |
| ٧٠٧ | نفس المرجع ، السطر ٩٢ ، ١٢٧ ، وثيقة ٥٨٣٩ ، السطر ١ - ٦ . |
| ٧٠٨ | نفس المرجع ، وثيقة ١٤٣٥ ، السطر ١٥١ . |
| ٧٠٩ | نفس المرجع ، السطر ٩٥ . |

تعاونت السلطات المصرية والروسية لمواجهة المعارضة السياسية، وفي إطار هذا التعاون أرسلت وزارة الداخلية المصرية في ١٩١٠ فريقاً من الخبراء مكون من ثلاثة أشخاص إلى إنجلترا وروسيا وفرنسا على التوالي؛ لدراسة سبل مكافحة الجرائم السياسية. وقد عادوا إلى الوطن بعد أن قضوا عامين مدة الدراسة^{٧١٠}.

بهذا تكون الأوضاع في مصر قد ساعدت النازحين من البحر الأسود، فقد دأبوا على العمل مع أطقم السفن الروسية التي كانت ترسو في الموانئ المصرية، وتمكنوا بفضلهم أن يقيموا روابط بالوطن روسيا. بدأت صحيفة «موريك» (البحار) في الصدور بانتظام منذ نهاية ١٩١٢، ووفقاً لبعض التقارير كانت تطبع في حلوان^{٧١١}، وعلى ما يبدو أن يوريتسين الصحفي السابق كان يتولى هذا الأمر، فمن المعروف أنه كانت تربطه علاقات قوية بنقابة بحارة البحر الأسود. وبعد أن نقفز للأمام نلاحظ أنه بعد إلقاء القبض على أداموفيتش، ومصادرة الوثائق التي بحوزته والخاصة بالاتحاد، عثرت السلطات القيصريّة بداخلها على اسم ليوريتسين وقامت بتفتيش منزله. وحيث أنه علم بأمر اعتقال أداموفيتش من الصحف المحلية تمكن على الأرجح من إخفاء جميع المراسلات الخاصة به. ولم تسفر عملية التفتيش عن شيء^{٧١٢}.

في الفترة من الرابع عشر إلى السادس عشر من فبراير، عقد النازحون من البحر الأسود في مدينة الإسكندرية مؤتمراً سرياً للمنظمات المهنية البحرية لأطقم السفن الروسية وحضره مندوبون من بحارة البحر الأسود، وبحر قزوين^{٧١٣}.

علمت سلطات القنصلية الروسية عن وصول أداموفيتش ورفاقه إلى الإسكندرية مصادفةً، وبناءً على الطلب الذي قدمته في ديسمبر ١٩١٢ قامت الشرطة المصرية بالقبض على المهاجر السياسي فلاديمير تيرسكي (ميرسكي، سفابودن)، وبعد الاستيلاء على أوراقه التي كانت بحوزته علموا بأمر نقل اللجنة الخارجية لاتحاد بحارة البحر الأسود^{٧١٤} إلى الإسكندرية.

- | | |
|-----|---|
| ٧١٠ | «بكر عبد الوهاب»، نفس المرجع ص ٢٥-٤٣. |
| ٧١١ | «رفعت السعيد» «تاريخ الحركة الاشتراكية» ص ١٨٨. |
| ٧١٢ | أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٤٩، حافظة ٥٠٢٦، وثيقة ٥٣٤١، السطر ٩٢. |
| ٧١٣ | نفس المرجع، السطر ٥٠. |
| ٧١٤ | نفس المرجع، السطر ٦٢. |

خلال تلك الفترة أسفرت أعمال النقابة عن بعض النتائج ، حيث بدأ بحارة البحر الأسود في بداية عام ١٩١٣ التجهيز لإضراب جديد ، ورفعت الشرطة تقريراً بذلك إلى الحكومة . في الوقت الذي وصل فيه التأجيل الثوري مرة أخرى في روسيا لدرجة الغليان ، مما دفع السلطات القيصريّة بالرد على التقرير بمنتهى الحزم ، وكان إضراب بحارة البحر الأسود غير مرغوب فيه بالنسبة للسلطات القيصريّة ، طالما أنه قد يثير بعض ردود الأفعال ، ناهيك عن إمكانية التسبب في أضرار جسيمة بالممتلكات .

في الثلاثين من مارس عام ١٩١٣ (بالتقويم القديم . فلاديمير بيلياكوف) عقد رئيس مجلس الوزراء اجتماعاً خاصاً بشأن اتخاذ التدابير اللازمة لمنع إضراب أطقم السفن في البحر الأسود ، بحضور وزراء الداخلية والعدل والنقل البحري والتجارة والصناعة ، وقد أسفر هذا الاجتماع عن اتخاذ عدة قرارات أهمها «أنه يجب أولاً أن يصدر أمر بضبط وإحضار القائد الفعلي للحركة أداموفيتش والذي يقطن في الإسكندرية»^{٧٥} . وصدرت الأوامر لممثلي القنصلية «تقديم المساعدة لأفراد الشرطة الروسية عن طريق العملاء في الإجراءات التي سيقومون بها» .

بعد أن تلقى السفير سميرنوف بعد شهر تقريباً ، قرار الاجتماع الخاص ، توجه شخصياً إلى الإسكندرية في الفترة من الخامس والعشرين من أبريل إلى الثامن من مايو ليشهد بنفسه عملية القبض على أداموفيتش . وبما أنه كان يحمل جواز السفر الألماني باسم المواطن ألكسندر كورنيلسون ، فإن الأمر يتطلب موافقة مسبقة من القنصلية الألمانية ، ولم يكن ذلك بالمهمة الصعبة ، ففي غضون ثلاث ساعات من وصول السفير سميرنوف إلى الإسكندرية ، تم إلقاء القبض على ألكسندر أداموفيتش وتم إيداعه قسم شرطة «الحضرة»^{٧٦} .

أبلغ سميرنوف سانت بطرسبورج أن : «عملية القبض على أداموفيتش بأمر الحكومة القيصريّة كانت مسألة في منتهى الأهمية ، فقد تم العثور معه على وثائق تخص تنظيم أطقم السفن ، وختم المنظمة ، وقوائم عديدة ، ومجموعة خطابات لسجناء واردة من داخل روسيا ، ومراسلات حول إقامة علاقات للمنظمة بممثليها في الغرب ، ومع التجمعات العمالية في أوروبا»^{٧٧} .

٧١٥ نفس المرجع ، السطر ٣٧ .
٧١٦ نفس المرجع ، السطر ٤٥ .
٧١٧ نفس المرجع ، الملف ١٥١ ، حافظة ٤٨٢ ، وثيقة ٨٧٤ ، السطر ٢٠ .

اعتقد الدبلوماسيون الروس أنه بالقبض على أداموفيتش قد نجحوا في تحييد أحد أبرز الشخصيات في الحركة الثورية الروسية. وأشار السفير الروسي سميرنوف في تقريره الذي أرسله إلى سانت بطرسبورج إلى: «أن الأشخاص المقبوض عليهم وهم: أداموفيتش، وف. تيرسكي، ورفيقة الأول في السكن المواطنة السويسرية تريبي والمولودة في خوخلوفا يعدون أهم الشخصيات الثورية، وبالطبع فإن إرسالهم إلى مصر، يعنى أنهم قرروا نقل واحد من أهم مراكز التحريض ضد الحكومة في الخارج إلى هنا.

ويدلل على أهمية تلك الشخصيات وبالأخص، أداموفيتش تلك الضجة الواسعة في أوروبا التي صاحبت عملية القبض عليه، والمراسلات الخاصة به، والتي تم تسليمها إلى القنصلية الروسية في الإسكندرية، فقد أحدثت دهشة بسبب حجمها، وتتكون من منشورات أناركية وثورية، ومطبوعات، ومراسلات مع المنظمات الأوروبية، والفصائل المختلفة، وأيضاً خطابات شخصية هائلة لعدد من الشخصيات الثورية المختلفة، والتي كانت تمثل مادة ثرية مهمة بالنسبة لرجال الشرطة^{٧١٨}.

لم يثر خبر اعتقال أداموفيتش ضجة في الأوساط الأوروبية فحسب، لكنه أثار ضجة داخل الأوساط المصرية أيضاً. وكما حدث مع بوتسيوف في عام ١٩٠٧ نظمت وقفة تضامنية شارك فيها الأوروبيون بشكل أساسي، ولنفس السبب: إذ قامت السلطات المصرية بالقبض عليه إستناداً إلى قانون الامتيازات، وأيضاً لأسباب سياسية، وهو الأمر الذي يعد سابقة خطيرة. وكانت السلطات القيصريّة تستفيد من نظام الامتيازات، و طالبت بالحفاظ عليه. وأشار سميرنوف^{٧١٩} في أحد تقاريره: «نتوقع أنه في حال ما تم إلغاء نظام الامتيازات وحرماناً من إمكانية تصفية أنشطة المحرضين السياسيين هنا، فستتحول مصر إلى واحدة من أهم وأخطر الأماكن، للدعاية المناهضة للحكومة القيصريّة».

أبلغ سميرنوف سانت بطرسبورج: «أنه تم عقد اجتماع داخل دوائر العمل الاشتراكية في كل من القاهرة والإسكندرية، وذلك لمناقشة التدابير التي يمكن اتخاذها للحيلولة دون ترحيل المعتقلين إلى روسيا^{٧٢٠}، وتم التخطيط لحشد الحشود ومحاولة نصب كمانن للحيلولة دون ترحيل المقبوض عليهم، واللجوء كذلك إلى

٧١٨ نفس المرجع، السطر ٣٢.
٧١٩ نفس المرجع، السطر ٣٦.
٧٢٠ نفس المرجع، السطر ٣٣.



الصفحة الرئيسية من جريدة «إسكرا»
التي كان يتم نقلها من أوروبا إلى روسيا عبر الإسكندرية
من خلال السفن التجارية

الترويع إذ سيتم الحكم على أنا وممثلي القنصلية في القاهرة بالإعدام في حالة إرسال المعتقلين إلى روسيا».

بعد مرور شهر، وعلى الرغم من الاحتجاجات تم ترحيل كل من: أداموفيتش وتيرسكي إلى أوديسا على متن إحدى السفن الروسية، وتم اللجوء إلى الحيلة؛ لتحاشي الصدام مع المتظاهرين، فكان المشهد كالتالي: قبيل إبحار السفينة بساعة واحدة، تم نقل المحتجزين داخل سيارة الترحيلات من السجن إلى ميناء الجمارك، فبدأ الأمر كما لو كانت السفينة ستغادر بدونها وعندما همت السفينة إلى الخروج من الميناء، تم تسليم أداموفيتش وتيرسكي إلى طاقم السفينة على متن زورق الجمارك^{٣١}

وفقاً لتقييم سميرنوف: «أبدت الصحافة العربية اهتماماً ضئيلاً لقضية أداموفيتش^{٣٢} ورفاقه»، ولكن من الجانب المصري عندما نمت إلى علم المصريين خبر اعتقاله شعروا بالتعاطف معه، فيما كتبت صحيفة مورياك (البحار) في عددها الصادر في الثاني عشر من سبتمبر عن هذا الأمر والتي كانت لا تزال تصدر آنذاك.

يذكر أن رفاق أداموفيتش أعدوا له خطة للهروب، ولكنه في أثناء قفزه من أعلى أسوار السجن التوى كاحله، ولم يتمكن من الركض، وألقى القبض عليه مرة أخرى، وأعيد الهارب إلي الزنزانة، وتمنى له مفتش السجن المصري: «النجاح في المرة القادمة!»^{٣٣}

٧٢١ نفس المرجع، السطر ٣٤.
٧٢٢ نفس المرجع، السطر ٣٠.
٧٢٣ «فلاديمير بيلياكوف» محمية أفريقيا للطيور، صفحة ٥٤-٥٥.

أشادت السلطات القيصريّة بجميع المشاركين في عملية القبض على أداموفيتش ترحيله وبخاصة الأجنبي ، وحصل كل من القنصل العام لألمانيا في الإسكندرية السيد إدوارد جوبمان على الأوسمة الروسية ، ورئيس الفرقة بوكالة الشرطة السرية الرائد ريكاردو دجيوفاني ، كبير أمناء إدارة الموانئ المصرية والفنارات دو جلاس موريس ، وقائد شرطة الميناء الرائد داوسون ، فيما نال كل من قائد شرطة الإسكندرية الجنرال هوبكنسون ، ومفتش الشرطة السرية الرائد إنجرام ومسؤول قسم الحضرة بوب الهدايا الثمينة ، كما حصلوا على الأوسمة الروسية ، تقديراً لجهودهم في عملية اعتقال بوتسيوف^{٧٢٤} .

على الرغم من انتصار ثورة أكتوبر وانتهاء الحرب العالمية الأولى ، إلا أن ذلك لم يؤد إلى العودة السريعة لمعظم الثوريين الروس إلى أرض الوطن الذين وجدوا في مصر ملاذاً وملجأً من بطش النظام القيصري ، إندلعت الحرب الأهلية والتي حالت دون رجوعهم للوطن ، كما أعيق طريق المواصلات البحري المباشر بين الإسكندرية وأوديسا ، وتم قطع العلاقات مع العائلة والأصدقاء المتواجدين داخل الوطن ، في حين نجح أغلب المهاجرين في الاندماج داخل المجتمع المصري وتمكنوا من الحفاظ على العلاقات فيما بينهم .

في عام ١٩١٩ كانت لاتزال لجنة المهاجرين السياسيين الروس تمارس عملها^{٧٢٥} ، ومن مفارقة القدر أنه في العام التالي ، وعلى الأراضي المصرية إلتقوا بخصومهم السياسيين من اللاجئين الفارين من روسيا السوفيتية .

كما رأينا ، لقد ساهم اللاجئون السياسيون الروس على الرغم من ملاحظات السلطات القنصلية في زعزعة النظام القيصري ، كما أنهم أقاموا علاقات مع من يتبنى نفس أفكارهم من الأوروبيين والمصريين على حد سواء . كما ساهم اللاجئون الروس في نشر الوعي السياسي لدى عموم المصريين ، وغرسوا بذور الحركة الاشتراكية والعمالية المصرية .

٧٢٤ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية ، ملف ١٤٩ ، حافظة ٢٠٢٦ ، وثيقة ٧٥٦١ السطر ٢-٣ .
٧٢٥ نفس المرجع ، ملف ٣١٧ ، حافظة ٨٢٠/١ ، وثيقة ٥٠٨ ، السطر ٦ .